أسلوب وضع الإظهار موضع الإضمار– أسراره وأغراضه في القرآن الكريم

The style of showing in a position of hiding - its secrets and purposes in the holly Quran

DOI: 10.5281/zenodo.8256468

*Dr.Fazal ur rehman
**Inam ur Rehaman
***Dr. Sabeen Altaf

Abstract:

This research paper addresses the phenomenon of showing (الظاهر) in a position of hiding(الإضمار) in the Holy Qur'an through an Rhetorical and analytical study. It is a pure rhetorical study which concluded that the the term showing in a position of hiding(وضع الظاهر موضع المضمر) is a prominent linguistic phenomenon of Arabic language and especially the Holy Qur'an.

This research aims to investigate the verses in holy Quran in that contain on showing in a position of hiding(وضع الظاهر موضع المضمر) and its purposes of its use in the holy Qur'an, and describe the content of educational values that can be utilized and applied in daily life.

The conclusion of this study is that Faith and aqidah education is a basic education in the holy Quran. Delivered through several stories of the Messengers of Allah conveyed the message of tawheed to their people with patience.

Key words: *showing, hiding, holly Quran, rhetoric ,purposes*

ملخص البحث:

الدراسة في مباحث القرآن نعمة عظمى ومنة كبرى، فهو الكتاب الذي حفظه المولى سبحانه وتعالى وجعله نورا وهداية للعالمين الذي تحدى به العرب فوفقو أمام بلاغته وفصاحته إلى يومنا هذا،فمن عظيم إمتنان الله تعالى أن وافقنا بدراسة القرآن الكريم تحت عنوان: "أسلوب وضع الإظهار موضع الإضمار– أسراره وأغراضه في القرآن الكريم"وقد إصطلح عليها العلماء مصطلحات عدة منها: الإظهار والإضمار، ووضع الظاهر موضع المضمر، العدول عن الإضمار إلى الإظهار وله أغراض وفوائد كثيرة،

.....

*Theology teacher Government high school saro shah Mardan
**PhD Scholar, Department of Islamic studies University of Peshawar.
***visiting lecturer,Islamic Studies, Islamia Collage University Peshawar

وأما أهداف البحث هي: بيان أسلوب الإظهار في موضع الإضمار عند المفسرين من خلال بعض النماذج مع بيان أغراضه البلاغية وفوائده الكثيرة، وجعل هذا البحث مرجعا هاما في مجالات الدراسات العلمية في علوم القران. والمنهج المستخدم في البحث هو التحليلي والبلاغي والتطبيقي.فنذكر الأيات القرآنية التي يوجد فيه الإظهار موضع الإضمار منها:

قوله تعالى:ٱلْقَارِعَةُ ١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ [1] قوله تعالى: "الْقارِعَةُ" القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة والمراد بها هاهنا القيامة التي مبدأها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق سميت بها لأنها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والأهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بانشقاق والانفطار والشمس والنجوب بالتكوير والانكدار والانتثار والأرض والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله مَا الْقارِعَةُ على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ اى راى شيء عجيب هى فى الفخامة والفظاعة.

وفيه وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل "وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ" ما فى حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر اى واى شيء أعلمك ما شان القارعة فان عظم شأنها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدرك بها."[2]

وقال ابو السعود أيضا: "ما القارعة" على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة الهول والفخامة هاهنا هو كلمة مالا القارعة أي شيء عجيب هي في الفخامة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل" [3]

وفي قوله تعالى:أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ [4] يبين الله تعالى المثل الثاني– لحيرتهم وانتهازيتهم، وهو أن القرآن قد أتاهم بالإرشادات الإلهية، ولكنهم أعرضوا عنها، فحالهم تشبه حال قوم نزل عليهم المطر الغزير، بالمخاوف من ظلمات المطر، والرعد القاصف، والبرق الخاطف، وفي هذا الجو القاتم تلمسوا سبيل النجاة، وعقدوا الأمل على ما لاح في الأفق من نور، فعزموا على اتباع الحق الذي جاءت به الآيات البينات، ثم ما لبثوا أن وقعوا في الظلام، فأصابهم القلق والاضطراب، والله محيط بهم، قادر عليهم، فلو شاء لأذهب أسماعهم بقوة الرعد، وأبصارهم بوميض البرق الخاطف، ولكن لحكمة ومصلحة، لم يشأ ذلك، لإعطائهم الفرصة ليثوبوا إلى رشدهم.

يحتمل العموم؛ لظاهر اللفظ، ويحتمل العهد؛ لأن أصله: والله محيط بهم، لكن وضع الظاهر موضع الضمير ترهيبا.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ 5

أي رد الأتباع على القادة رؤساء الضلال: بل الذي صدنا عن الإيمان مكركم بنا بالليل والنهار حين كنتم تطلبون منا أن نبقى على الكفر بالله، ونجعل له أشباها وأمثالا في الألوهية والعبادة، ثم ذكر مصير الفريقين فقال:وأسروا الندامة لما رأوا العذاب، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا أي وأضمر الجميع من السادة والأتباع كل ندم على ما سلف منه عن الكفر، وأخفاه عن غيره، مخافة الشماتة، وتبينت الندامة في وجوههم حين واجهوا العذاب المحدق بهم، وحين جعلنا الأغلال وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم في النار.ثم أخبر تعالى عن عدالة هذا الجزاء، فقال:

هل يجزون إلا ما كانوا يعملون؟ أي إنما نجازي هؤلاء وأمثالهم بأعمالهم".[6]

وقوله في أعناق الذين كفروا أي في أعناقهم من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما استحقوا به الأغلال وهي محمولة على الظاهر وإن جاز أن يراد بها العلائق. وفي قوله هل تجزون إشارة إلى أنهم استحقوها عدلا. ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن إيذاء الكفار الأنبياء ليس بدعا وإنما ذلك هجيراهم قدما. وإنما خص المترفين[7]

إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ 8

ذكر الله تعالى سبب إصرارهم على عقائدهم الفاسدة وهو الضعف الذي جبل عليه الإنسان من البطر عند الغنى، والفراغ في زمن الصحة، والأمن في زمن الكفران، وإنما جمع قوله وإن تصبهم لأن الإنسان جنس يشمل أهل الغفلة كلهم.

وقوله فإن الإنسان من وضع الظاهر موضع الضمير وفائدته التسجيل على أن هذا الجنس من شأنه ذلك إلا إذا أدب النفس وراضها. ثم بين كمال قدرته بقوله لله ملك السماوات والأرض الآية. والمقصود أن الإنسان لا يغتر بما يملكه من الجاه والمال ولا يعتقد أنه حصل بجد أوجده فيعجب به ويعرض عن طاعة ربه".[9]

وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ 10

حيث أضيف الحِزب إليه تعالى خاصة وهو أيضا من باب وضع الظاهر موضع الضَّمير العائد إلى من أي فإنهم الغالبون لكنهم جعِلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم وإثباتاً لغَلَبتهم بالطريقِ البرهانيّ كأنه قيلَ ومن يتولى هؤلاء فإنهم حزبُ الله وحزبُ الله هم الغالبون[11]

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ 12

وفي قوله "ولكن الناس" أيضا وجدنا وضْع الظاهر موضع الضميرِ وغرضه البلاغي "زيادة تعيين وتقرير" أي لكنهم بعدم استعمالِ مشاعرهم فيما خلقت له وإعراضِهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبِهم للرسل والكتب "أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" أي ينقُصون ما ينقصون مما يخِلّون به من مبادى كما لهم وذرائعِ اهتدائِهم وإنما لم يذكر لما أن مرمى الغرض إنما هو قصر الظلم على أنفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونِه تفويتا بالكلية وإبطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل أَنفُسِهِمْ إما تأكيدٌ للناس فيكونُ بمنزلة ضمير الفصلِ في قوله تعالى وَمَا ظلمناهم ولكن كَانُواْ هُمُ الظالمين في قصر الظالمية عليهم وإما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقعِ وتقديمُه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلةِ من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم على رأي مَن لا يرى التقديمَ موجباً للقصر فيكون كما في قوله تعالى "وَمَا ظلمناهم ولكن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ" من غير قصد للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول..." [13]

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ [14]

أي ألم يصل إلى علمك حال هؤلاء الذين خرجوا من أوطانهم وهم كثيرون من بني إسرائيل، لما لحقهم العدو وطاردهم؟ خرجوا وهم كثرة تعد بالألوف المؤلفة، حذر الموت، بسبب الجبن والهلع، وعدم الإيمان بالله ورسله، مع أن كثرتهم تدعو إلى الثبات، والشجاعة، والصمود، والدفاع عن النفس والحمى.

وذكر جماعة من السلف وهم أهل قرية يقال لها: داوردان: قرية على فرسخ من قبل واسط، خرجوا هاربين فرارا من الطاعون، وقالوا: "نأتي أرضا ليس بها موت، فتمكن منهم العدو، ففتك بهم، وقتل أكثرهم، وفرّق شملهم، أو أنّ الله أماتهم دون قتال ثم أحياهم، ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من قضائه".[15]

وضع الضمير نوضع المضمر: وفي ايضا وجنا وضع الضمير في موضع المضمر ولكن أكثر الناس،وفيه نكتة بلاغية وهي "زيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه إلى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس"[16]

أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا [17]

وفي قوله تعالى: "وللكافرين" وجدنا ايضا وضع الظاهر موضع المضمر أي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم "أمثالها" أمثال عواقبهم ، المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها[18]

ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ [19]

والذين يظنون من وضع الظاهر موضع الضمير إشارة إلى الذين آمنوا واليقين عند أهل اللغة كما قال الراغب: هو المعرفة الحاصلة عن إمارة قوية تدل عليه فلا يرد على المصنف أنّ شهادتهم مظنونة كما قيل:

والتخذيل من الخذلان وعدم الإعانة وتفسير الأذن بما ذكر لما مر، وقوله: وكم تحتمل الخبر الخ الظاهر الأوّل مع أنّ من لا تدخل بعدكم الاستفهامية كما مر عن الرضي وغيره وهي زائدة في التمييز وأتا جعلها بيانية فيقتضي حذف المميز بلا داع له مع تكلفه معنى، والفئة إن كانت من فأوت لأنها قطعة من الناس فوزنه فعة وان كان من فاء لأنه يرجع إليهم فوزنها فلة والمحذوف العين. قوله: (وفيه ترتيب الخ) فيه معنى بديع واستعارة لطيفة ونكتة[20]بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ [21]

ذكر الله تعالى من احوال القيامة مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته وهذا من وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بما هو العلة فى عدم خضوعهم للقرءآن وفى البروج فى تكذيب لانه راعى فى السورتين فواصل الآي مع صحة اللفظ وجودة المعنى وفى بعض التفاسير الظاهر ان المرأة التكذيب بالقلب بمعنى عدم التصديق وهو إضراب ترق فان عدم الايمان يكون بالشك ايضا والتكذيب من شدة الكفر وقوة الإنكار الحاملة على الاضراب وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ بما يضمرونه فى قلوبهم ويجمعونه فى صدورهم من الفر والحسد والبغي والبغضاء فيجازيهم على ذلك فى الدنيا والآخرة فما موصولة يقال أوعيت الشيء اى جعلته فى وعاء اى ظرف ثم استعير هو والوعى لمعنى الحفظ او بما يجمعونه فى صحفهم من اعمال السوء ويدخرونه لانفسهم من أنواع العذاب علما فعليا تفصيليا قال القاشاني بما يوعونه فى وعاء أنفسهم وبواطنهم من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الفاسقة وقال نجم الدين من إغراقهم فى بحر الشهوات الدنيوية وإحراقهم بنيران العذاب الاخروية فَبَشِّرْهُمْ اى الذين كفروا بِعَذابٍ أَلِيمٍ مؤلم غاية الإيلام لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما وهو استهزاء بهم وتهكم كما قال تعالى الله يستهزئ بهم لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم (قال الكاشفى) يعنى خبر كن ايشانرا بعذاب دردناك وفيه رمز الى تبشير المؤمنين بالثواب المريح راحة جسمانية وروحانية لان التخصيص ليس بضائع ولذلك قال تعالى إِلَّا الَّذِينَ استثناء منقطع من الضمير المنصوب فى فبشرهم الراجع الى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم اى لكن الذين آمَنُوا ايمانا صادقا وايضا الايمان العلمي بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ من الطاعات المأمور بها وايضا باكتساب الفضائل لَهُمْ فى الآخرة أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ اى غير مقطوع بل متصل دائم من منه منا بمعنى قطعه قطعا او ممنون به عليهم فان المنة تكدر النعمة من من عليه منة والاول هو الظاهر ولعل المراد من الثاني تحقيق الأجر وان[22]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ [23]

قوله تعالى: "كَمَا يَئِسَ الكفار" وضع الظاهر موضع الضمير وغرضه البلاغي هو التهكم والتوبيخ لهم "من أصحاب القبور" ان يرجعوا اليه أو كما يئس أسلافهم الذين هم في القبور من الآخرة أي هؤلاء كسلفهم

وقيل هم اليهود أي لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله اعلم

الحواشي

[1]القارعة:1-2

alQarea:1-2

[2]روح البيان إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ دار الفكر – بيروت،499:10

Rohul Bayan,Ismail Haqi,Dar al fikr,Bairut:10:499

[3]إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(تفسير أبي السعود) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،192:9

Tafsir Abi Saud,Abu al saud al imadi Muhamma dbene mustafa,9:192

[4]البقرة:19

Al Baqara:19

[5]سبا:33

Saba:33

[6]– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي،189:22

Al tafsir al Munir fi al aqida wa al sharia wa al manhaj,wahba ibne Mustafa al Zuhaili:22:189

[7]غرائب القرآن ورغائب الفرقان،نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ) بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ،498:5

Araib al quran wa raieb al furqan,Nizan adin hasan bene Muhammad al nesabori,edition 1st 1416,5:498

[8]الشورى:48

Al shora:48

[9]– غرائب القرآن ورغائب الفرقان،نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٠هـ)،81:6

Gharaib al Quran wa Raaib al Furqan,Hasan bene Muhammad al nesabori,6:81

[10]المائدة:56

Al maida:56

[11]تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،53:3

Tafsri abi saud,Abu Saud al Imadi,3:53

[12]يونس:44

Younas:44

[13]تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى 149:4:

Tafsir abi saud,Abu Saud al Imadi,4:149

[14]البقرة:243

[15]التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،د وهبة بن مصطفى الزحيلي،412:2

Tafsir abi saud,Abu Saud al Imadi,2:412

[16]: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،278:4

Tafsir abi saud,Abu Saud al Imadi,4:278

[17]محمد:10

Muhammad:10

[18]تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،94:8

Tafsir abi saud,Abu Saud al Imadi,8:94

[19]البقرة:46

Al Baqara:46

[20] حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت،330:2

Hashiat al shehab al hufaji,shahab al din ahmad bene Muhammad al hufaji,2:330

[21] – الانشقاق:22–23

Al Inshiqaq:22-23

[22]روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي ، (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت،382:10

Rohul Bayan,Ismail Haqi,10:382

[23]الممتحنة:13

Al Mumtahena:13